JAUES

Journal Of Al Azhar University Engineering Sector

Vol. 13, No. 46, January, 2018, 200-209

المعني فيما وراء العشاري

كمال محمود كمال محمد الجبلاوي
قسم العمارة – كلية الهندسة ببنها - جامعة بنها – مصر.

ABSTRACT
This research is an introduction to the attempt to understand and explanation the philosophical ideas, expressions and symbolic meanings that emerged behind the element of Al-eishari & trace the roots of these ideas in previous times, as these ideas did not stem from a vacuum but inherited through different generations of intellectuals & one place, then test these ideas in the reality of Egypt and During the group of research examples and then to express opinion and participation through thought by the questionnaire, which was attended by a group of architects, students and students of the people, in order to reach to the extent of absorption and credibility of those ideas, and from this point was this research d And his understanding through the mind of society in general & architecture in particular to reach a better world to call understanding and reflection in the universe to reach a dignified life to please God and invite him.

الملخص:
يمثل هذا البحث مدخلاً لمحاولة فهم وتفسير الأفكار الفلسفية والتعبيرات والمعاني الرمزية التي ظهرت وراء العشاري مع تتبع جذور هذه الأفكار بالعصور السابقة، حيث أن هذه الأفكار لم تتبع من فراغ ولكنها متوارثة عبر الأجيال المختلفة أصحاب الفكر والمكان الواحد، ثم أختبار هذه الأفكار بالواقع المصري وذلك من خلال مجموعة الأمثلة البحثية ثم أبداء الرأي والمشاركة من خلال الفكر بواسطة الاستبيان الذي شارك فيه مجموعة من المهندسين المعماريين والطلاب الدارسين والمستخدمين من الناس، وذلك للوصول إلي مدي استيعاب ومصداقية تلك الأفكار، ومن هذا المنطلق فكان هذا البحث دعوه للفهم من خلال العقل للمجتمع بشكل عام والمعماري بشكل خاص للوصول لعالم أفضل يدعوا إلي الفهم والتدبر في الكون للوصول إلي حياة كريمة ترضي الله وتدعوا إليه.

الكلمات المفتاحية: المعني – الفكر – الثقافة – الرمز – الفلسفة.

1- المقدمة العامة:

الإشكالية، الأهداف، الفرضيات، المنهجية، مقدمة عن العنصر:

1/1 ... الإشكالية البحثية:

منذ عصر الخلفاء الراشدين ومروراً بكل العصور المتعاقبة وحتي العصر الحديث المعاصر، وقد أستخدم عنصر العشاري بالمباني الدينية فوق بعض المآذن والقباب، وببعض المباني الجنائزية فوق الأضرحة والمشاهد لأهداف وظيفية ورمزية وتعبيرية ولكنها الأن تستخدم كشكل جمالي زخرفي فقط، دون فهم ووعي للفكر الخاص والمعني الخفي الذي أوجد ذلك العنصر وجعله يظهر في العصور السابقة بهذا الشكل، وفي أماكن وأوضاع محددة.

2/1 ... أهداف البحث:

أولاً: التعرف علي مجموعة من الأفكار الرمزية والمعاني الخفية المتعددة التي ظهرت وراء أحدي تشكيلات العناصر المعمارية بالعمارة المصرية بعد دخول الإسلام منذ عصر الولاة وحتي العصر العثماني، وهو عنصر العشاري، وذلك من خلال دراسة أراء بعض الفلاسفة والأدباء وأصحاب الفكر في هذا المجال.

ثانياً: تتبع جذور الفكر الخاص بعنصر العشاري، وذلك من خلال عمل إسقاط لهذا العنصر بالعصور القديمة بالعصر الفرعوني والعصر القبطي، وذلك للوصول إلي ملامح ذلك الفكر المتوارث عبر الأجيال.
ثالثاً: اختبار بعض هذه الأفكار الرمزية التي ظهرت في عصرنا المعاصر لمعرفة درجة مصداقية ذلك الفكر ومدي استيعابه وفهمه من خلال المهندسين المعماريين والطلاب الدارسين في مجال العمارة والمستخدمين من الناس.

3/1 ... فرضيات البحث:

تأثرت العشاري التي ظهرت في العمارة المصرية بعد دخول الإسلام بـ:
أولاً: العصور التي سبقتها من حيث الفكر والمعني والمضمون.
ثانياً: روح العقيدة المتمثلة في جزئيين وهما القرآن والسنة النبوية.
حيث أخذها المعماري وأعاد صياغتها لكي تتلائم مع أسلوب حياة المجتمع المسلم عن فهم ووعي لذلك العنصر، مع تغير المستوي الثقافي للمجتمع بصفة عامة والمعماري بصفة خاصة بالعصر الحديث نظرا للغزو الفكري مما أثر بشكل مباشرعلي فهم وإدراك هذه الأفكار والمعاني التي ظهرت وراء تشكيلات عنصر العشاري، ومن هنا كانت البداية في البحث في الماضي وفهمه جيداً لإستعمال ذلك العنصر عن وعي وصياغته من جديد.

4/1 ... المنهجية المتبعة:

يعتمد البحث على عدة مناهج لتحقيق أهدافه و هذه المناهج كالأتي:

1/4/1 ... المنهج الوصفي التحليلي:

للتعرف على مفاهيم وأنواع وأشكال وطريقة التصميم الخاصة بعنصر العشاري، وكذلك الأهداف الوظيفية والأفكار الرمزية والمعاني التي توجد وراء ذلك العنصر، مع تحليل تلك الآراء.

2/4/1 ... المنهج التحليلي المقارن:

ذلك من خلال عمل إسقاط لهذا العنصر لمعرفة أصل ذلك الفكر في العصور السابقة، ثم الإنتقال إلي الدراسة الميدانية وعرض بعض النماذج من العصر الحديث في الواقع المصري المعاصر، لعمل تحليل تتابعي ومقارنة بين القديم والحديث عبر الزمن من خلال التطور.

3/4/1 ... المنهج التحليلي الإستنباطي الرصدي:

قد تم إستخدامه بالدراسة التحليلية التفصيلية لعنصر العشاري وطرح ورصد بعض الأفكار من خلال مقابلة بعض الأفراد وعمل إستبيان معهم، والذي قد تم من خلال المشاركة الفكرية لإبداء الرأي والوصول إلي الأفكار والمعاني الرمزية علي مستوي المعماريين والطلاب الدارسين في مجال العمارة والمستخدمين من الناس.

5/1 ... مقدمه عن عنصر العشاري:

ظهرت العشاري في العمارة المصرية بعد دخول الإسلام، وهي عبارة عن خوذة على شكل سفينة صغير أو مركب النيل تدور مع حركة الهواء، كما أنها ظهرت بأعلي قمم القباب والمآذن سواء كانت بالعمائر الدينية المتمثلة في عماره المساجد والجوامع، أو فوق قباب العمائر الجنائزية المتمثلة في عماره الأضرحة والمقابر.
ومثال علي ذلك قبة الإمام الشافعي التي تحتوي علي عنصر العشاري الذي يتخذ شكل القارب البرونزي وهو موجود أيضاً فوق القبة أو الجوسق الذي يعلوا مئذنة الجامع الطولوني والتي سقطت بعد ذلك. (1)
كما أنها ظهرت أيضاً فوق قبتي خانقاه ومسجد برقوق وفرج الذي يوجد بالقرافة الشرقية كما يطلق عليها ببعض الكتب بمقابر المماليك بالعصر المملوكي البرجي، وهي مازالت توجد به حتي الأن، والاستعمال هنا ليس بغرض الجمال والزينة فقط، ولكن لتحقيق أهداف وظيفية وأفكار رمزية ومعاني آخري خفية متوارثة ذو أصل نابع من ثقافة المجتمع في العصور السابقة وتوارثت عبر الأجيال حتي وصلت لنا بهذا الشكل. (2)

2- الأهداف الوظيفية الخاصة بعنصر العشاري:

الغرض الوظيفي الأساسي من العشاري هو استعمالها كمكان لوضع الحبوب بها التي تم التبرع بها من قبل أهل المتوفي لكي تأكل الطير منه المتواجدة في ذلك المكان، وهو نوع من أنواع الأعمال الخيرية التي توضع بأسم صاحب الضريح أو المنشاءه التي يوجد بها عنصر العشاري سواء كانت مبني ديني أو جنائزي أو حتي خيري لخدمة الناس، كما أن يمكنها الدوران مع حركة الرياح، ويتم وضع الحبوب والماء بعنصر العشاري الذي يوجد فوق القبة الضريحية في المبني الجنائزي، وهذه الفكرة مازالت موجودة حتي الآن في معظم مدافن المسلمين حيث قد تم رصدها، وهي من العادات التي حرص عليها كثيراً من الناس حيث يتم بعثره المياه ثم الحبوب بعد الدفن علي القبر لكي تأكل الطير منه كنوع من أنواع التبرع {باسم المتوفي} في سبيل الله، وهو يعتبر عمل خيري. (3)

3- الفكر والمعني الرمزي:
يذكر المعماري حسن فتحي عن الرمزية أن وجد الإنسان وجدانيه الرموز بتجريد الظواهر والبحث فيما وراء الأشكال من القوانين الأزلية والأفكار والتعبيرات الرمزية والمعاني الخفية التي يحملها الشكل، فإن الناحية الرمزية التي تظهر فيما وراء الأشكال تعود إلى الوجدان أي الروح وبالتالي إلى العقيدة، فإذا خلت العمارة من الناحية الوجدانية لأصبحت ميكانيكا، وهنا دعوة من المعماري بأن يكون العمل فيه جانب من المعني الرمزي.[4]

ويمكن التوصل إلي أن الرمزية هي مذهب أدبي فلسفي تعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة والتلميح، والرمز معناه الإيحاء أو التعبير بشقيه المباشر والغير مباشر المعبر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها أو لا يراد التعبير عنها مباشرة.[5]
ويقصد بالميتافيزيقا: هو ما وراء الطبيعة والبحث في مشكلات الوجود اللا مادي وغايته القصوي ونحو ذلك من الموضوعات التي تهدف للبحث فيما وراء الظواهر المحسوسة وتقوم الميتافيزيقا علي التأمل الباطني للذات عندما تريد أن تسمو عن الحالة الحسية والنفسية، وينقسم التعبير بالرمزية إلي:

1/3... التعبير بالرمزية المباشرة:
يعد مستوي التعبير بالرمزية المباشرة أبسط مستويات التعبير، حيث يلجأ المعماري لاستخدام إشارة أو لافته توضح ماهية الشيء لكي تصل بسهوله إلي ذهن المتلقي فمثلا الدين الإسلامي اتخذ من الهلال رمزا والدين المسيحي أختار الصليب واليهودية النجمة السداسية، حيث نبعت هذه الاختيارات من مفاهيم متعارف عليها في الديانات وقد ارتبطت بالنتاج المعماري، وقد يعجز المعماري أحياناً أن يعبر عن حقيقة بعض الفراغات، مما يضطره إلي الرمزية فعلي المستوي الداخلي للمبني قد يصعب التعبير عن صراحة الأماكن الخدمية كدورات المياه وغيرها، ونتيجة لهذا قد يلجأ المعماري إلي استخدام رموز ومعاني.

2/3... التعبير بالرمزية من خلال المعني:
قد يحتاج المعماري لإيضاح بعض الأفكار والمعاني حيث أنها تمر علي بعض المشاهدين دون أن يدركوا الرسالة الخفية وذلك لأنها تحتاج إلي درجة كبيرة من الوعي تمكنهم من فهم ما وراء السطور في العمل المعماري، حيث أن العمارة المصرية التي ظهرت بعد دخول الإسلام قد اتخذت الكثير من الأفكار والتعبيرات الرمزية التي تعبر عن بعض مفاهيمها، كمثال عرائس السماء التي تتواجد في نهاية الواجهة، فهي تعبر في مضمونها عن الوحدة والإتحاد والمساواة لصفوف المسلمين، كما أنها تعبر عن الاتصال بين ماديات الأرض وروحانيات السماء.[6]

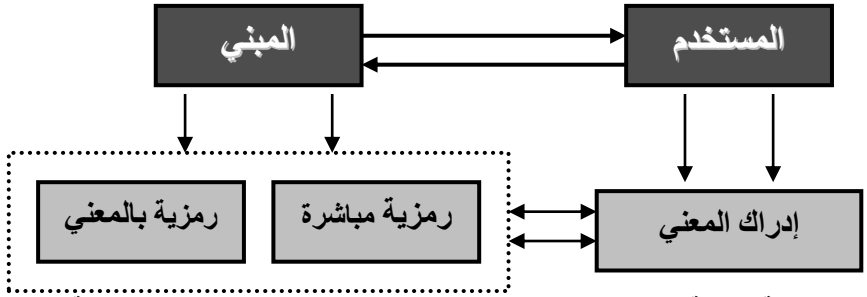

شكل (1- 1) **ديجرام لتوضيح العلاقة التبادلية بين المستخدم وشكل المبني حيث يشمل بعض مفردات عناصرة المعمارية وبعض العلامات ، وذلك لإدراك المعنى من خلال الرمزية بالطريقة المباشرة والرمزية من خلال المعنى** (بواسطة الباحث، 2017)

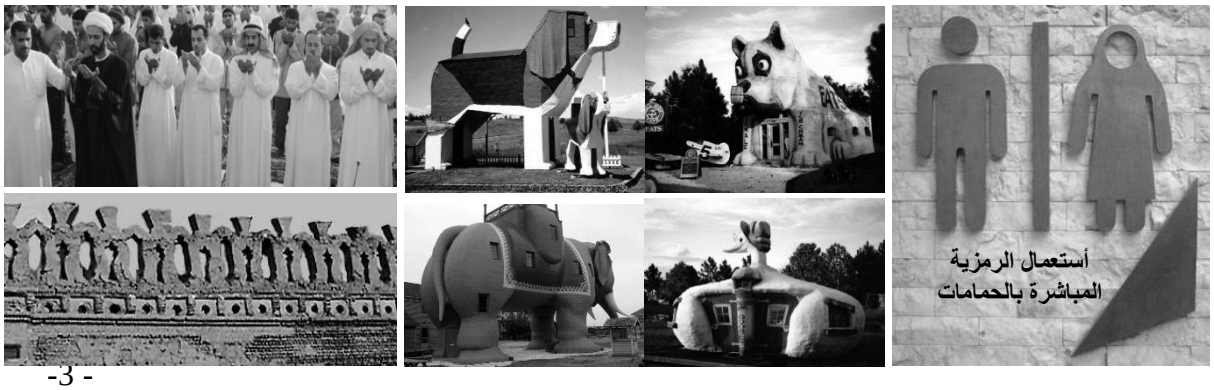

شكل (1- 2) **استعمال التعبير بالرمزية المباشرة كعلامة عن وجود دورات المياه، وأيضاً استعمال المباني التي تأخذ أشكال حيوانات بالملاهي، واستعمال التعبيرات الرمزية من خلال المعني في شكل عرانس السماء بالجوامع** (www.albeet.com, 2017)، (The Mosque - 1994)

4- الأفكار الرمزية والمعاني الخفية التي توجد وراء عنصر العشاري:

يذكر الأديب جمال الغيطاني أن العشاري أتخذت شكل القارب البرونزي حيث أن هذا الشكل نابع من فكر مصري قديم، فالقارب رمز من الرموز الأساسية في تلك الحضارة حيث أن المصري قديماً كان يتخيل رحله الشمس من الشرق إلي الغرب من خلال استخدام شكل القارب، وفكرته نابعة من نهر النيل وهو أساس الحضارة في مصر، ففكرة العبور تعتبر فكرة أساسية في الفكر المصري القديم حيث:

أولاً: العبور من الحياة إلي الموت.

ثانياً: العبور من الشرق إلي الغرب.

ثالثاً: العبور من الغرب إلي الشرق ليلاً في العالم السفلي وهو عالم الأمواج المقسم إلي أثني عشر ساعة وهذه الرؤية المصرية استمرت في العمارة، ولذلك ظهرت العشاري علي شكل قارب {مراكب صغيرة}.

فأصل ذلك الفكر يرجع إلي فكرة السفينة التي تعتبر أساس العبور والنجاة، وهي مستمدة من قصة نبي الله نوح علية السلام عندما جمع المؤمنون ونجا بهم جميعاً من الطوفان بواسطة السفينة، فهي ترمز وتشير إلي العبور من الخطر والنجاة مع المؤمنون، وقد أثر ذلك الفكر علي معتقدات وتخيلات المصمم في العصور المصرية القديمة مما أدي إلي تقديسه لفكرة القارب الذي يحمل معني العبور والنجاة.

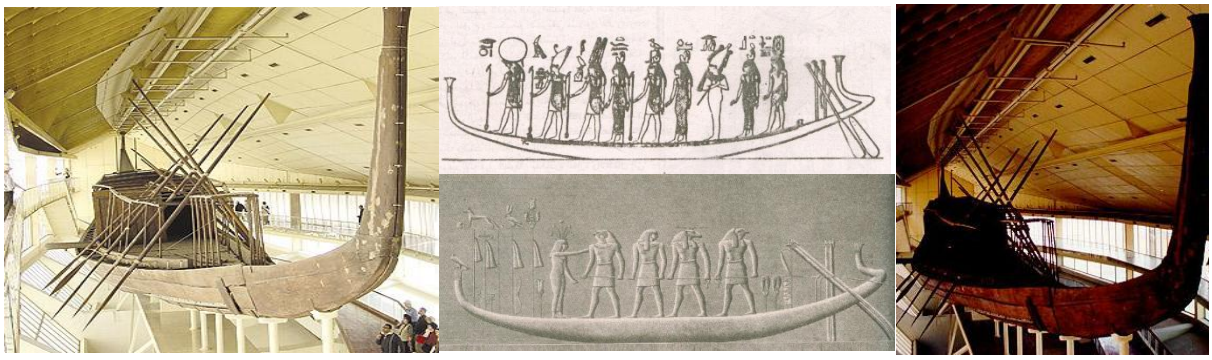

شكل(1- 3) ظهور شكل المراكب في الفكر المصري القديم الذي عبر من خلال أستعمالها عن فكرة العبور والنجاة، وهي مستمدة من سفينة نبي الله نوح علية السلام، وهي ترمز وتشير إلى العبور والنجاة مع المؤمنون من الطوفان أو الجحيم (www.islamonline.ne،2017)

وقد أنتقل هذا المفهوم من الفكر المصري القديم إلي الفكر القبطي حيث ظهرت بكثير من الكنائس حاملة لهذا المعني كمبني الكنيسة المعلقة الذي يوجد بمجمع الأديان بمنطقة مصر القديمة، فإذا نظرنا إلي سقف الكنيسة المعلقة لوجدناها اتخذت شكل القارب المقلوب، وهي تعتبر من الكنائس التي لم يبني بها أي قبة، وقد اقتصر بناء سقفها على الخشب للوصول إلي هذا الفكر المتوارث عبر العصور والأجيال، وهو شكل سفينة نوح رمز للخلاص والنجاة من النار أو الطوفان وأيضاً النجاه من كل ما هو خطر، حيث أن ذلك الفكر مترسخ بشدة في عمارة الثقافة القبطية، ولذلك صممت الكنيسة لكي تنقل هذا المفهوم المتوارث من العمارة المصرية القديمة الذي يرجع أصلة إلي قصة نبي الله نوح ونجاه المؤمنين من الطوفان ومن كل ما هو خطر،ولذلك ظهرت هنا لكي تشير للخلاص.[7]

شكل(1- 4) **استخدام شكل القارب المقلوب بسقف الكنيسة المعلقة بمجمع الأديان بمصر القديمة، وذلك لتحقيق فكرة العبور، والنجاه من الخطر والوصول إلي النعيم الدائم، فشكل السفينة هنا يرمز ويشير إلي الخلاص، لكل من بداخل المكان.** (innovationtours.net, 2017)

وقد انتقل هذا الفكر من العصر المصري القديم والعصر القبطي لكي يظهر مجدداً بالفكر الإسلامي في عمارة الثقافة الإسلامية وقد تبلورت الفكرة عند ظهورها مرة أخري من خلال عنصر العشاري، وقد انتشرت العشاري في العصور الإسلامية السابقة بالعمارة المصرية وخصوصاً في العمارة الجنائزية فهي كانت توضع فوق القباب والمشاهد وأحياناً فوق المآذن بالعمارة الدينية بغرض واضح وصريح، وهو وضع الحبوب التي تم التبرع بها من قبل أهل المتوفى لكي تأكل الطير منه، فهو نوع من أنواع التبرع في سبيل الله، وإذا نظرنا إلي هذا العنصر في وقتنا الحالي لوجدناه تقريباً قد أختفي من مبانينا المعاصرة بشكل عام،وكذلك قد أختفي من المباني الدينية كالجوامع والمساجد والمباني الجنائزية كالمقابر والأضرحة بشكل خاص، حيث أن ذلك العنصر فيما مضي كان يتم وضعه فوق القباب والمآذن سواء كان ذلك بالأضرحة أو بالمساجد، مثل مئذنة أحمد بن طولون بالعصر الطولوني وقبة الأمام الشافعي بالعصر الأيوبي كعمل خيري،وهو فكر متوارث من العصور التي سبقته ولكن بشكل مختلف.[8]

شكل(1- 5) **ظهور عنصر العشاري (المراكب الصغيرة) في العمارة المصرية بعد دخول الإسلام، وخصوصا بالمقابر وذلك للتبرع من خلال وضع الحبوب به، وقد صمم علي شكل قارب لكي يرمز ويشير إلي النجاة من الجحيم والوصول إلي النعيم** (www.islamonline.ne،2017)

ونلاحظ أن فكرة العبور التي تشير إليها العشاري يرجع أصل معناها إلي الصلاة، فالإنسان عندما يصلي يقوم بالعبور بواسطة المحراب من مكانه في المسجد إلي الكعبة بمكة المكرمة متوجهاً إلي الله سبحانه وتعالي نحو المطلق إلي اللانهاية، ومن هنا فأن تفسير عمل المكان الذي يتم وضع الحبوب المتبرعة للمتوفي علي شكل قارب مستمد من الفكر المصري القديم، ويرجع أصل ذلك إلي قصة نبي الله نوح علية السلام ومنذ هذا الوقت أتخذ القارب رمز للنجاة والعبور من الخطر مثل سفينة نوح، [9] وقد تم اعادة صياغة هذه الفكرة في العصر الإسلامي حيث أستعمل القارب للعبور من الدنيا إلي الآخرة حاملاً الثواب لكي يوضع في ميزان حسنات المتوفي.[10]

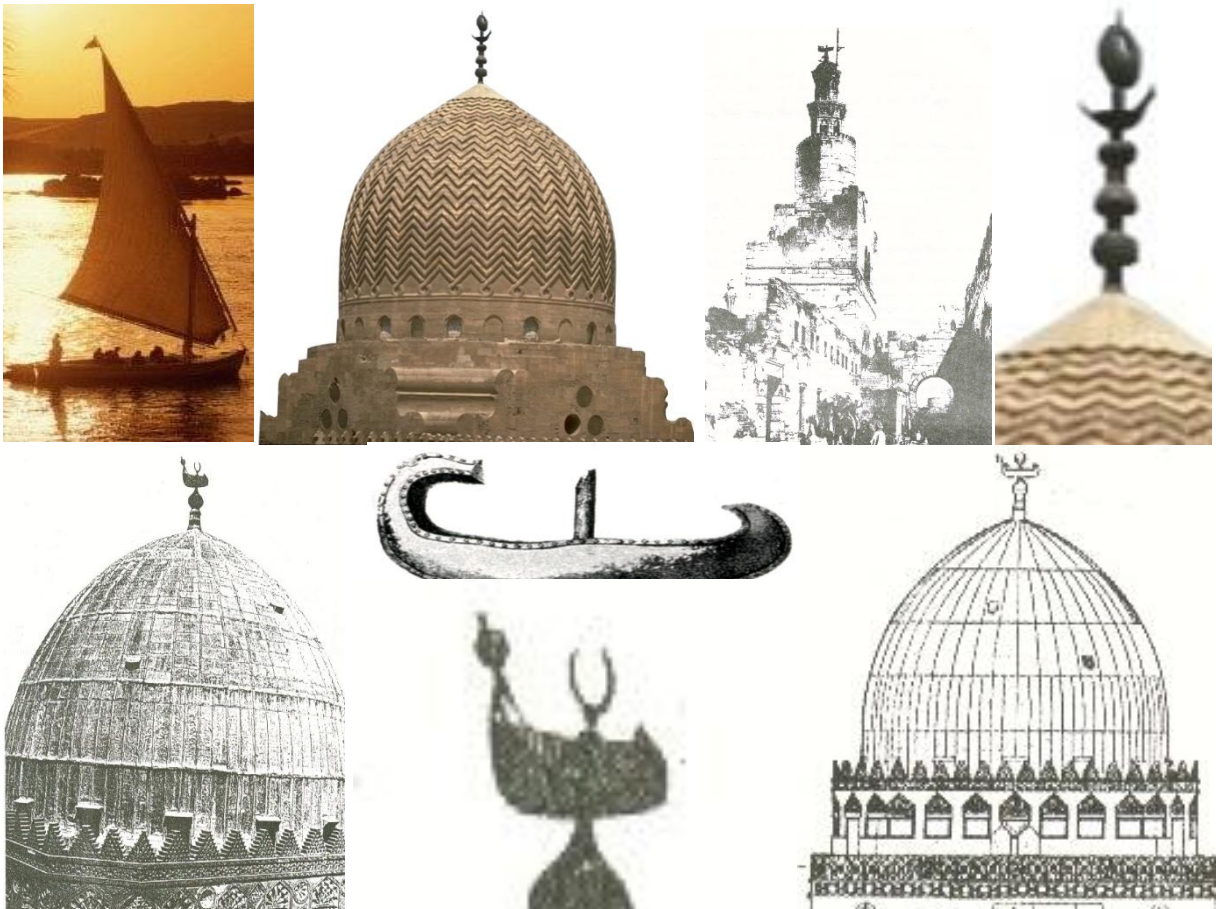

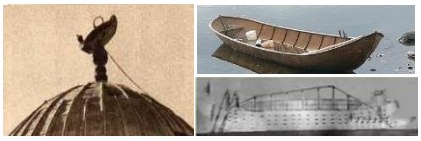

شكل (1- 56) استعمالات مختلفة للقباب في العمارة المعاصرة بعد دخول الإسلام، حيث أنها ترمز إلي النجاة من الطوفان والعبور من الخطر، ويرجع أصل هذا الفكر إلي قصة النبي نوح (www.islamonline.net،2017) أنه يعتبر من العناصر المعمارية الشائعة والمتعارف عليها قديما، وخصوصاً بالعمارة الدينية المتمثلة في دار العبادة كالجامع والمسجد والزاوية والعمارة الجنائزية المتمثلة في عمارة الأضرحة والمشاهد التي توجد بالمقابر، فهو يعتبر رمز واضح وصريح عن النجاة كما ذكرنا من قبل، ولكن هل يستعمل ذلك العنصر الآن في مبانينا الحديثة كشكل جمالي زخرفي للزينة فقط؟، أم مازال يستعمل عن فهم ووعي لما يحملة من معاني؟، وللإجابة علي كل هذه التساؤلات يجب إعادة النظر في كيفية استعمال هذا العنصر في مبانينا المعاصرة، ورصد من خلال